أساليب الإصلاح التربوي المجتمعي
في ضوء التحديات المعاصرة

Methods of community educational reform
In light of contemporary challenges

الأستاذ الدكتور
محمد عبيد جاسم
Prof. Dr
Mohammed Obaid Jassim

كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة الانبار
College of Education for Humanities - Anbar University
isl.mahmmedoj@uoanbar.edu.iq

الملخص

إن الحمد الله، نحمده وتستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وبعد

يمثل الإصلاح التربوي الواعد رؤية تعكس فلسفة وفكرًا، يراد تجسيدهما على أرض الواقع لتحقيق أهداف متفق بشأنها وغاياتها، ولسنا بحاجة إلى أن نذكر أن الإصلاح التربوي لا يمكن تصوره أو تنفيذه في فراغ.

والنظام التربوي والتعليمي هو الوسيلة الأساسية لكل أمة من أجل الحفاظ على هويتها وبناء حضارتها وهو عبارة عن منهج فكر وأسلوب حياة ونظام تنشئة للأجيال وإيجاد علاقة الإنسان بربه وبأخيه وبالحياة وبالكون. والمنهج في النظام التربوي الإسلامي يوجه الإنسان ليعيش في نفسه بالإيمان بربه ومع أفراد مجتمعه بالبذل والمحبة والتعاون والنصيحة، ومع الكون بالتفهم والتدبر والاستعداد لما بعد الموت، وكان طلب العلم أو تعليمه من أنبل الأعمال التي يطلب بها العامل مرضاة الله.

وبهذا فإن عملية الإصلاح هي معالجة علمية ومتأنية لمختلف المشاكل الطارئة والكامنة والمؤثرة في صيرورة النظام التربوي، وهو بهذا لا يكتفي بالمعالجة السطحية للمشاكل التربوية، بل ينبغي كلما استدعى الأمر ذلك، أن يغوص في أعماق التكوين الخاص بالمجتمع ليكتشف عوامل أخرى قد لا تؤخذ في الحسبان، ولكنها مع ذلك تؤثر تأثيراً بالغاً في تحقيق الأهداف المرجوة.

كل الأعمال التي تؤدي إلى إعمار الأرض وعدم الإفساد فيها وإلى خير ورخاء المجتمع وأمنه واستقراره تعد في نظر الإسلام عبادة يتساوى فيها الرجل والمرأة؛ فينال كل منهما الأجر والثواب من عند الله تعالى في الآخرة، والحياة الطيبة في الدنيا.

والإصلاح الأُسَري له حيز لا بأس به، فقد كان من القضايا التي عولجت في ضوء المجتمع الإسلامي عبر هذا القرآن؛ ان السمات البارزة الواقعية ومعالجة موضوع الإصلاح الأسري، بنحو دقيق، فهو قد وضع الأسس التي ينبغي البناء عليها، كما أنه وضع الحلول الجذرية للمشكلات التي قد تطرأ، أو تنمو مع بداية نشوء الأسرة.

وقد يكون من أهم عوامل نشوء الخلافات الأُسَرية هو جهل كل فرد، أو كل طرف بدوره ومهمته، ومن هذا المنطلق حدد القرآن الكريم الدور الذي يناط بكل فرد وطرف، بما في ذلك أولو الأمر، فكان إصلاح الأسرة داخلياً وخارجياً. جعل الأسرة هي الركن الأساسي في بناء كل مجتمع أو أُمة، بل إنَّ القرآن الكريم قد أخبرنا بأن الإنسانية كلها قد أوجدها سبحانه بقدرته من أسرة واحدة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾([1]) إن إنهاء الخلافات باتباع الخطوات التي بينتها آيات القرآن الكريم قد لا يتيسر، فقد كثرت نظريات الإصلاح في هذه الآونة، ولكن أيا منها لم يحالفه الحظ في إسعاد البشرية، فكانت هذه المبادئ المجرّبة -على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان- هي البلسم الوحيد لإصلاح ما أصاب هذه الأمة من أمراض مزمنة والعودة إلى ركب القيادة والصدارة في قيادة العالم، خاصة وأن هذه النظرية- بل الحقيقة المجربة (الدستور الأسري) مستمد من النبع الصافي (القرآن العظيم) والذي كان من أولى اهتماماته إصلاح النفس البشرية، ثم إصلاح الأسرة، وإصلاح المجتمع بنحو عام.

Summary :

Praise be to God, we praise Him, we seek His help, we seek His forgiveness, and we seek refuge in God from the evils of ourselves and the evils of our deeds. He whom God guides cannot be led astray, and he who is misguided cannot be guided, and I bear witness that there is no god but God and that Muhammad is His servant and Messenger. And yet The promising educational reform represents a vision that reflects a philosophy and an idea that is intended to be embodied on the ground in order to achieve agreed-upon goals and objectives. We do not need to mention that educational reform cannot be imagined or implemented in a vacuum. The educational system is the basic means for every nation to preserve its identity and build its civilization. It is a method of thought, a way of life, a system for upbringing generations, and creating a person's relationship with his Lord, his brother, life and the universe. The curriculum in the Islamic educational system directs the person to live in himself with faith in his Lord and with the members of his community by giving, love, cooperation and advice, and with the universe through understanding, contemplation and preparation for what comes after death. Thus, the reform process is a scientific and careful treatment of the various emergent and latent problems that affect the process of the educational system. Thus, it is not satisfied with the superficial treatment of educational problems. Rather, whenever necessary, it should delve into the depths of the formation of society to discover other factors that may not be taken into account, but However, it significantly affects the achievement of the desired goals. All actions that lead to the reconstruction of the earth and the non-corruption therein and to the welfare, prosperity, security and stability of society are considered in the eyes of Islam as worship in which men and women are equal. Each of them will receive reward from God Almighty in the Hereafter, and a good life in this world. And family reform has a good scope, as it was one of the issues that were dealt with in the light of the Islamic society through this Qur'an.

The salient features are realistic and the issue of family reform is dealt with accurately, as it has laid the foundations on which to build, and it has put in

place radical solutions to the problems that may arise or grow with the beginning of the emergence of the family.One of the most important factors in the emergence of family disputes may be the ignorance of each individual, or each party of his role and mission, and from this standpoint, the Holy Qur'an defined the role assigned to each individual and party, including those in authority, so the family was reformed internally and externally. Making the family the main pillar in building every society or nation. Indeed, the Holy Qur'an has told us that all of humanity has been brought into being by the Almighty by His power from one family. It is not possible There have been many theories of reform at this time, but none of them was lucky to make humanity happy, so these proven principles - over fourteen centuries of time - were the only balm to reform the chronic diseases that afflicted this nation and return to the ranks of leadership and forefront in World leadership, especially since this theory - in fact, the proven fact (the family constitution) derives from the pure spring (the Great Qur'an), whose first interests were reforming the human soul, then reforming the family, and reforming society in general.

المقدمة

إن الحمد الله، نحمده وتستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وبعد

يمثل الإصلاح التربوي الواعد رؤية تعكس فلسفة وفكرًا، يراد تجسيدهما على أرض الواقع لتحقيق أهداف متفق بشأنها وغاياتها، ولسنا بحاجة إلى أن نذكر أن الإصلاح التربوي لا يمكن تصوره أو تنفيذه في فراغ والنظام التربوي والتعليمي هو الوسيلة الأساسية لكل أمة من أجل الحفاظ على هويتها وبناء حضارتها وهو عبارة عن منهج فكر وأسلوب حياة ونظام تنشئة للأجيال وإيجاد علاقة الإنسان بربه وبأخيه وبالحياة وبالكون. والمنهج في النظام التربوي الإسلامي يوجه الإنسان ليعيش في نفسه بالإيمان بربه ومع أفراد مجتمعه بالبذل والمحبة والتعاون والنصيحة، ومع الكون بالتفهم والتدبر والاستعداد لما بعد الموت، وكان طلب العلم أو تعليمه من أنبل الأعمال التي يطلب بها العامل مرضاة الله.

وبهذا فإن عملية الإصلاح هي معالجة علمية ومتأنية لمختلف المشاكل الطارئة والكامنة والمؤثرة في صيرورة النظام التربوي، وهو بهذا لا يكتفي بالمعالجة السطحية للمشاكل التربوية، بل ينبغي كلما استدعى الأمر ذلك، أن يغوص في أعماق التكوين الخاص بالمجتمع ليكتشف عوامل أخرى قد لا تؤخذ في الحسبان ولكنها مع ذلك تؤثر تأثيراً بالغاً في تحقيق الأهداف المرجوة. كل الأعمال التي تؤدي إلى إعمار الأرض وعدم الإفساد فيها وإلى خير ورخاء المجتمع وأمنه واستقراره تعد في نظر الإسلام عبادة يتساوى فيها الرجل والمرأة؛ فينال كل منهما الأجر والثواب من عند الله تعالى في الآخرة، والحياة الطيبة في الدنيا.

والإصلاح الأُسَري له حيز لا بأس به، فقد كان من القضايا التي عولجت في ضوء المجتمع الإسلامي من خلال هذا القرآن.

ان السمات البارزة الواقعية ومعالجة موضوع الإصلاح الأسري، بشكل دقيق، فهو قد وضع الأسس التي ينبغي البناء عليها، كما أنه وضع الحلول الجذرية للمشكلات التي قد تطرأ، أو تنمو مع بداية نشوء الأسرة، وقد يكون من أهم عوامل نشوء الخلافات الأُسَرية هو جهل كل فرد، أو كل طرف بدوره ومهمته، ومن هذا المنطلق حدد القرآن الكريم الدور الذي يناط بكل فرد وطرف، بما في ذلك أولو الأمر، فكان إصلاح الأسرة داخلياً وخارجياً. جعل

الأسرة هي الركن الأساسي في بناء كل مجتمع أو أُمة، بل إنَّ القرآن الكريم قد أخبرنا بأن الإنسانية كلها قد أوجدها سبحانه بقدرته من أسرة واحدة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢) إن إنهاء الخلافات باتباع الخطوات التي بينتها آيات القرآن الكريم قد لا يتيسر، فقد كثرت نظريات الإصلاح في هذه الآونة، ولكن أياً منها لم يحالفه الحظ في إسعاد البشرية، فكانت هذه المبادئ المجرّبة -على مدى أربعة عشر قرنا من الزمان- هي البلسم الوحيد لإصلاح ما أصاب هذه الأمة من أمراض مزمنة والعودة إلى ركب القيادة والصدارة في قيادة العالم، خاصة وأن هذه النظرية- بل الحقيقة المجربة (الدستور الأسري) مستمد من النبع الصافي (القرآن العظيم) الذي كان من أولى اهتماماته إصلاح النفس البشرية، ثم إصلاح الأسرة، وإصلاح المجتمع بنحو عام، أما الخطاب التربوي الإسلامي فهو رؤية تستمد مكوناتها من ثقافة القرآن والسّنة، وتتميز بخصيصتين ذواتي خطر وشأن، هما: الشمولية والواقعية. أما الشمولية فلأنها تستوعب جوانب الشخصية الإنسانية كلها، روحية ومادية وعقلية ووجدانية وأما الواقعية فلأنها تحتكم إلى العمل ومعطياته وآثاره وتقيس نجاح الشخصية أو فشلها عبره. والخطاب التربوي بهذا المفهوم يتسع ليهيمن، ويوجه بمجموع المواد التعليمية والمقررات الدراسية أياً كانت طبيعتها، فيجعلها في اتساق وتجاوب مع قيم الإسلام.

وقسم البحث على مباحث

المبحث الأول: التعريفات

المبحث الثاني: الإصلاح التربوي

المبحث الثالث: الإصلاح المجتمعي

المبحث الرابع: أساليب الإصلاح

المبحث الأول: التعريفات

الإصلاح لغة: الصـاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد. قوبل الصلاح تارة في القرآن بالفساد، وتارة بالسيئة، قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾([3]) وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده، بمعنى أقامه وأصلح الدابة، أحسن إليها فَصلَحت والمفسد: يضاد الله تعالى في فعله فإنه يفسد، والله تعالى يتحرى في جميع أفعاله، الصـلاح، فهو إذاً لا يصلح عمله ويقال الرجل صلاحاً وصلوحاً.([4])

الإصلاح في الاصطلاح: عرف العلماء الصلاح والإصلاح بعدة تعريفات، وهي:

الصلاح: هو سلوك طريق الهدى وقيل، هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل.([5])

وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع.([6]) يقول الإمام الزمخشري: والصلاح هو الحصول على الحالة المستقيمة. وقال الراغب الأصفهاني: والصُّلح: يختص بإزالة النِّفار بين الناس، يقال منه اصطلحوا وتصالحوا، وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده يُصْلِحْ لَكُمْ أعملكم([7])، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسيئة. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾([8]) وفي آية أخرى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾.([9])

التعريف المختار: نجد أنها متقاربة، ويمكن الجمع بينها بتعريف شامل وهو (سلوك طريق الهدى واستقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع).

وتارة يكون بالحكم له بالصلاح: يتبين أن الإصلاح يعني: تقويم وتصحيح الأخطاء أو الفساد الذي اعترى الفرد أو الجماعة في وقت من الأوقات للوصول إلى الحالة المستقيمة والسوية وهل أصل الاشتقاق هو المصدر أم هم هو الفعل، وهذا محل خلاف بين علماء اللغة آثرت عدم إثارة الخلاف حوله.

الإصلاح في القرآن الكريم: ورد الإصلاح في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾([10]) وهو هنا بمعنى الرفق قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾([11]) وهو هنا بمعنى الإحسان قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾([12]) قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.([13])

قال المفسرون: الإصلاح هنا الطاعة، ضد الإفساد وهو المعصية

التربية: المفهوم الشامل للتربية يرى بأنها هي الوسيلة التي تساعد الإنسان على بقائه واستمراره ببقاء قيمه وعاداته ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فيما يرى البعض أن التربية تأخذ منظوراً دينياً ويعده بعضهم عملية هدفها هو الحصول على الإنسان السوي المعتدل كما أقرت بذلك كل الديانات السماوية.

أما أحدث التعريفات عن التربية فهي: عملية التكيف أو التفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها، وعملية التكيف أو التفاعل هذه تعني تكيفه مع البيئة الاجتماعية ومظاهرها، وهي عملية طويلة الأمد ولا نهاية لها إلا بانتهاء الحياة، وأن التربية هي تنشئة الإنسان وإصلاحه شيئاً فشيئاً بالتدرج في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية والجسمية.

التربية في اللغة: دلالات لغوية متعددة، تركز أجمعها على ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة تتضمن التربية.

١- الإصلاح: رَبا الشيء إذا أصلحه، والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة وإنما التعديل والتصحيح

٢- النماء: رَبا الشّيءُ يَرْبُو رُبُواً ورِباءً: بمعنى زاد ونما.

٣- نشأ وترعرع: رَبِيَ يَرْبَى، على وزن خَفِيَ يَخْفَى: أي نشأ وترعرع.

٤- ساسه وتولى أمره: ربيت القوم: أي سُسْتُم: أي كنت فوقهم.

٥- التعليم: الرباني من الرب، بمعنى التربية، والرباني: الراسخ في العلم أو الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى.([١٤])

التربية في الاصطلاح: وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقول الراغب الأصفهاني: الرب في الأصل التربية.

وقال البيضاوي: الرب في الأصل اللغوي بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً([١٥])، وقال الغزالي: معنى التربية توجيه وإرشاد واصطفاء وانتقاء.([١٦])

وقال ابن خلدون: ضرورة العناية بتنمية عقل المتعلم ومراعاة استعداداته العقلية([١٧]).

المبحث الثاني: الإصلاح التربوي

عمومًا هو عملية تخطيطية وفلسفة تربوية، لا تركز فقط على تغيير هندسة الأبنية والزمن هو عملية دينامية نسقية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالتحول المجتمعي الشامل بهدف تحقيق تنمية مندمجة ومنفتحة على جميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بعيدة عن المزايدات والضيق الآيديولوجي، الذي يعطل كل عملية الإصلاح، كما بينت مختلف التجارب والمشاريع الإصلاحية، ويتأتى ذلك من المقومات التالية:

١- **التربية المجتمع:** اختلف الباحثون والمفكرون في تحديد علاقة التربية بالمجتمع، فمنهم من رأى أن التربية هي الوسيلة الوحيدة لاستقرار المجتمع وأنظمته وقيمه وأوضاعه الاجتماعية، بينما رأى فريق آخر أن التربية وسيلة لإصلاح المجتمع وتحسينه وتقدمه وتطوره.([١٨])

ومهما يكن هذا الاختلاف، فعملية البناء القيمي ليست مسؤولية مؤسسة اجتماعية بعينها أو منهج دراسي بعينه، ولكنها مسؤولية كل من له علاقة بعملية التربية، سواء في إطار الأسرة أم المدرسة أم أي مؤسسة في أي مجال، وعلى أي مستوى؛ فالتربية تسعى إلى تحقيق العمل النافع اجتماعيًّا، والتعامل بين أفراد المجتمع من أجل الصالح العام، كما تعمل التربية على غرس مبادئها في نفوس أفراد المجتمع، وتخطط في ضوئها أسس العلاقات الإنسانية الطيبة بين أفراد المجتمع، ويقع على عاتق التربية بناء القيم عن طريق إعداد أجيال قادرة على تحمل المسؤولية، والإسهام بإيجابية في النهوض بأنفسهم والارتقاء بمجتمعهم.([١٩])

والإصلاح لا ينبغي أن يظل قاصرًا على النمو الكمي للمتعلمين أو المؤسسات أو التجهيزات، بل على ما تحمله الزيادة في العدد من تطور نوعي حقيقي، ولنا في روسيا خير مثال، فقد كانت تفاخر العالم بأنها تضم أكبر عدد من الأطباء قياسًا إلى الساكنة، إلا أنها مع ذلك تعاني النسبة المرتفعة للوفَيَات داخل مركز العلاج بسبب استفحال خطر السلوك البيروقراطي، وفساد الضمير المهني، وتفشي المحسوبية والرشوة، وهيمنة ذلك على مرافق الحياة كلها، حتى بين أسرة المرضى، مما أدى إلى ضعف فاعلية الطب، وهزم مشروع الدولة في محاربة المرضى. في الوقت نفسه يجب العمل على الدور الأخلاقي وفضائل الصدق والورع والاقتصاد، والنشاط الضروري من أجل الازدهار([٢٠]).

٢- **الإرادة السياسية:** فالتعليم في أغلب البلدان العربية يخضع لأهواء السياسيين، وفي ظهور العديد من المخططات ذات الطابع الاستعجالي بين الفينة والأخرى، وعلى إثر صعود كل حكومة أو إسناد مهام وزارة التربية الوطنية والتعليم لهذا الوزير أو ذاك، مما يجعلنا أمام

برامج تعليمية مختلفة من حكومة إلى أخرى، ومن دون توحيد الرؤى والتصورات. فالجرأة السياسية في الإصلاح تتجلى من تبني إصلاح شمول.

وفي هذا السياق تطرح جملة من الإشكالات العالقة: كيف يمكن لإصلاح تربوي أن يتحقق في ظل الهجمة الشرسة على التعليم، وتشويه في المنابر الإعلامية الرسمية، في وقت نجد دولًا أخرى التي تتوخى الإصلاح فعلًا تضع التعليم في مستوى التعليم في الدول المتقدمة. إن إصلاح المنظومة التربوية يتطلب إرادة سياسية صادقة، والإرادة الصادقة تقتضي التدبير الشفاف لمختلف مشاريع الإصلاح، ويستلزم ربط المسؤولية بالمحاسبة. وهو معني بالإصلاح، شأنه في ذلك شأن بقية مكونات المجتمع؛ لأن التعليم شأن للمجتمع، وليس شأنًا قطاعيًّا([٢١]).

٣- **إعادة الاعتبار لمهنة التعليم**: ومهنة التعليم من أرقى المهن في جميع المجتمعات، ولا شك في أن المعلم هو الركيزة الأساسية لانطلاق وتطور الأمة في جميع مجالات الحياة، لكن -للأسف الشديد- في زماننا هذا تراجعت هيبة وكرامة المدرس، وأصبح أيقونة للاستهزاء والسخرية، وذليلًا مهانًا من طرف مجتمعه، فاقدًا قيمته بين متعلميه، لدرجة بلغت معها الجرأة حد الاعتداء عليه جسديًّا ولفظيًّا. إن المدخل الأساسي لأي إصلاح تعليمي لا بد من أن يضع في الحسبان تأهيل المدرس، فإذا لم تقم العملية التعليمية التعلمية على مدرس مؤهل تأهيلًا رفيعًا، وتم تكوينه تكوينًا متينًا، ضاعت كل الجهود المبذولة؛ إذ إن المدرس الفعال هو الذي يجعل من المتعلم مفكرًا ومبدعًا في العلوم التي تلقاها، وبها يتفاعل مع مجتمعه ويطوره، بعد تنمية قدراته، وتحصيل معلوماته، وصقل مهاراته الأساسية التي تؤهله إلى القيام بهذه المهمات العملية وإلى جانب تأهيل المدرس، ينبغي تحسين وضعيته المادية، حتى لا يشتت ذهنه وعطاؤه بين التعليم العمومي والتعليم الخصوصي.([٢٢])

٤- **الربط بين التربية والتعليم:** في هذا المجال تبدو الهوة واسعة بين النظرية والتطبيق في موضوع إصلاح، ومن ثم جفت ينابيع التربية في ثقافتها الحياتية وقيمها الاجتماعية وغاياتها الإنسانية، وأصيب التعليم بعلل تسللت إليها من مجتمعات مريضة، وروعها العنف والترهيب، وتعاطي المخدرات، والتحلل الجنسي([٢٣]). عندما نركز على التعليم وتغفل البعد التربوي تنهار! لذا لا بد من تضافر الجهود وتكثيف التنسيق بين مختلف الفاعلين والمتدخلين والمدرسين، والمتعلمين، وأولياء الأمور، والهيئات الإدارية، والإعلام، والأسرة لإعادة الاعتبار.([٢٤])

٥- **تطوير المناهج:** إن إشكاليات الأزمة التربوية تدفع إلى اقتباس النماذج التربوية من دون الانتباه إلى الفروق الاجتماعية والثقافية بين المجتمعات، مما يجعله يتصور حلًّا لمشكلة غير موجودة، بل مستعارة، وهذا كثيرًا ما يقع فيه الباحثون في مجتمعات العالم الثالث، فينقلون حلولًا جاهزة لمشكلات مخالفة تمامًا عن واقعها الاجتماعي، مما يجعلها ترفض ولا تنجح.([٢٥])

٦- **الاهتمام بالكفاءات:** إذ يتم الاعتماد على الخبرة الأجنبية في إيجاد بعض الحلول التي غالبًا ما لا تأخذ بالحسبان الخصوصيات المحلية والهوية الوطنية، ومن حيث الإمكانات المادية والمالية المتوفرة.([٢٦])

٧- **الأسلوب القرآني:** وهذا الأسلوب في التربية والتعليم والإعداد، بأسلوب قرآني، فالله تعالى قد هيأ جميع رسله بالإعداد والعناية قبل أن ينبئهم ويكلفهم بالرسالة([٢٧])، كما قال تعالى في شأن موسى (عليه السلام): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾([٢٨]) وظهرت منته ورعايته تعالى لنبينا (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾([٢٩]).

وكذلك هو أسلوب طبقه النبي (ﷺ) مع أصحابه حين أعدهم لحمل أعباء الدعوة وتبليغ الرسالة، وتعهدوا هم كذلك من جاء بعدهم من المسلمين.

٨- **عند انتشار** الجهل بين أفراد طبقة معينة، أو في مجتمعات خاصة برغم مجاورتهم لغيرهم ممن منَّ الله عليهم بالعلم، فهؤلاء يعظم حقهم على جيرانهم العارفين العالمين، وذلك لحق أخوة الإسلام بينهم، ولحق الجوار معها أيضاً، فقد روي أنه: (خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر طوائف من المسلمين، فأثنى عليهم خيراً، ثم قال: ((ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم؟! ولا يعلمونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم. والله ليُعلمَن قوم جيرانهم ويفقهونهم، ويفطنونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتفطنون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا))، ثم نزل فدخل بيته. فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قالوا: نراه عنى الأشعريين، هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب. فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله (ﷺ)، فقالوا: يا رسول الله، ذكرت قوماً بخير، وذكرتنا بشرّ، فما بالنا؟

فقال: ليفقهن قوم جيرانهم، وليفطننهم، وليأمرنهم، ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفطنون، ويتفقهون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا فقالوا: يا رسول الله أنفطن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم. فأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا؟ فقال ذلك أيضاً. فقالوا: أمهلنا سنة. فأمهلهم سنة ليفقهوهم، ويعلموهم ويفطنوهم([٣٠]) ثم قرأ رسول الله (ﷺ) هذه الآية: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)([٣١]).

فبين عليه الصلاة والسلام أهمية تفقيه المسلم لأخيه المسلم عند جهله وحاجته لذلك، كذلك أهمية مبادرة الجاهل إلى تعلم أمر دينه ممن يحمل هذا العلم؛ لأن التقصير في التعلم أو التعليم يؤدي إلى انتشار الجهل بالدين، وذلك مدعاة للوقوع في الذنب والإثم، واستحقاق العقوبة من الله.

ما أهداف الخطاب التربوي؟

إن رسالة الإسلام، بوصفه عقيدة وشرعة، رسالة تغيير وبناء، ولأنها كذلك لم يكن هذا الدين طقوساً تأملية، ولا رهبانية استغراقية، ولا انعزالية هاربة([٣٢])، بل كان عبادة يتم عبر أوامرها ونواهيها استئصال الشر واستنبات الخير في حياة الناس خاصة وعامة، ومن هذا المفهوم العميق للعبادة اكتسب هذا الدين فعاليته، وحركيته، وأخلاقيته، ونزل إلى ميدان المعركة، لا يشغل إلا بهدف واحد، تتحقق الأهداف أجمعها بتحققه، وهو إقصاء حكم الجاهلية لتستلم الأيدي المتوضئة زمام الأمر في كيان يحكمه الإسلام، وينظم شؤونه الإسلام، ويحدد علاقاته الإسلام، فلا أنانية ولا تسلط، ولا اغتصاب ولا استغلال، ولا موسع في إفحاش ولا مضار في معاش. بل هي شورى، ومساواة، وعدل([٣٣]). من هنا ندرك أن الخطاب التربوي الإسلامي ليس يستهدف، كأي خطاب تربوي آخر، (إعداد المواطن الصالح) أو (إعداد الإنسان للحياة) أو ما أشبه هذا وذاك، بل إنه يتجاوز مثل هذه الأهداف المحدودة الأفق، التي تعكس، كما هو شأن الهدف الأول، ضيق المفهوم العلماني للوطن، أو يبلور، كما هو الشأن في الهدف الثاني، مادية النظرة التي لا تؤمن بحياة بعد حياتنا هذه؛ نقول: إن الخطاب التربوي الإسلامي يتجاوز مثل هذه الأهداف القريبة إلى ما هو أغنى مضموناً وأبعد أثراً، وهو (إعداد الإنسان المؤمن المغير، البنّاء) توافقاً مع طبيعة عبادة التوحيد التي تتحقق، كما ألمحنا من قبل، عبر أوامر الشرع ونواهيه، باستئصال الشر واستنبات الخير في النفس الإنسانية، ويتجلى لنا غناء المضمون في هدف الخطاب التربوي الإسلامي وبعد أثره من موازنته بغيره من أهداف (الخطابات) التربوية الأخرى من مثل الهدفين آنفي الذكر، فالأول، وهو (إعداد المواطن الصالح) يربط أثر التربية بما يكون للفرد بفضلها من معطيات إيجابية على وطنه الذي هو، بحسب الاصطلاح العلماني، الرقعة من الأرض يمنحها المقيمون بها، على ما قد يكون بينهم من اختلاف في الدين، ولاءهم وحبهم([٣٤]) والهدف الثاني، وهو (إعداد الإنسان للحياة)، يربط مهمة التربية بما يمنح الفرد من قدرات وتستثمر فيه من مواهب لخوض غمار الحياة الدنيا بعقلية الربح والاستهلاك ومنطق ((الغايات تبرر الوسائل)) بالنظر إلى هدف الخطاب التربوي الإسلامي آنف الذكر

يمكننا أن نلاحظ أنه يستوعب الهدفين السابقين ولكن على شرطه، أي إنه، وهو يعنى بإعداد الإنسان المؤمن المغير البناء، يعد في الوقت نفسه المواطن الصالح، أي ذلك الفرد الذي يعد الوطن دار الإسلام، أي كل أرض حيثما كان موقعها وأيا كان جنس أهلها ولسانهم، يطبق فيها الإسلام شرعة ومنهاجاً([٣٥]). ومن شأن الالتفاف حول هذه العلاقة أن ينمي الشعور بالإخاء، والتضامن، والتآزر، والتعاون على البر والتقوى، وفي ذلك صلاح الفرد والجماعة، والأمة.

المبحث الثالث: الإصلاح المجتمعي

دور الأسرة والاهمية في بناء الفرد والمجتمع:

إن الأسرة أحد العوامل الأساسية في بناء الكيان التربوي، فهي البذرة الأولى في تكوين نمو الفرد وبناء شخصيته، فأن الطفل في أغلب أحواله مقلد لأبويه في عاداتهما وسلوكهما، فهي أوضح مقصدًا وأقل تنظيمًا، وأكثر إحكامًا من سائر العوامل التربوية. إن الأسرة لها أثر ذاتي في التكوين النفسي في تقويم السلوك الفردي وبعث الحياة والطمأنينة في نفس الطفل، فمنها يتعلم الطفل اللغة ويكتسب بعض القيم والاتجاهات، وقد أسهمت الأسرة في طريق مباشر في بناء الحضارة الإنسانية وإقامة العلاقات التعاونية بين الناس ولها يرجع الفضل في تعليم الإنسان لأصول الاجتماع، وقواعد الآداب والأخلاق، كما هي السبب في حفظ كثير من الحرف والصناعات التي توارثها الأبناء عن آبائهم وذلك في العصور القليلة الماضية.([٣٦])

الاسلام يدعو إلى إصلاح الأسرة

لقد طلب الرجل الصالح من موسى أن يزوجه بنته، وذلك لوجود خصلتين فيه هما القوة والأمانة، وفي هذا دليل على عرض الولي بنته على الرجل، وهي سنة قائمة([٣٧]) فالرجل الصالح يعرض على موسى نكاحاً لا يخجل منه لبناء أسرة مسلمة صالحة في المجتمع، فهذه الدعوة ليس فيها خجل، ولا ما يدعو إلى التحرج، والتردد والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء هذه الفطرة، فالرجل الصالح متى وجد الرجل المناسب، بدأ هو بخطبته لابنته، لا أن يمتنع الوالد أو ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه لابنته أو أخته أو قريبته. ويتحتم أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذي يتقدم، فلا يليق أن يكون العرض من جانب المرأة كما هو الحاصل اليوم. ومن المفارقات التي تحصل في هذه البيئة المنحرفة أن الفتيان والفتيات يلتقون ويتحدثون، ويختلطون ويتكشفون بعضهم على بعض، في غير ما خطبة ولا نية نكاح، حتى يتم التعارف بينهم([٣٨]). لقد كان الآباء يعرضون بناتهم على عهد رسول الله على من وجدوا فيهم صلاحاً، فعمر بن الخطاب عرض بنته على أبي

بكر ثم على عثمان، ثم تزوجها رسول الله([٣٩]). وكانت النساء يعرضن أنفسهن على رسول الله، قال: إن (جاءت امرأة إلى رسول الله تعرض عليه نفسها، وقالت: يا رسول الله: ألك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس: ([٤٠]) ما أقل حياءها، واسوأتاه، واسوأتاه قال: هي خير منك، رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها([٤١]) يتبين من حديث رسول الله جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح وأنه لا عار عليها في ذلك، بل فيه دلالة على فضيلتها، أما إن كان لغرض دنيوي فهو أمر قبيح([٤٢]) ولقد حث (سبحانه وتعالى) الآباء على تربية أبنائهم تربية إيمانية نابعة من كتاب الله وسنة رسوله، من أجل المحافظة عليهم في الدنيا من الانحرافات والفتن التي عمت البلاد والعباد، وفوزهم في الآخرة برضوان الله تعالى وبعدهم عن سخطه وغضب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾([٤٣]) إن دور الآباء والأمهات أن يحافظوا على أنفسهم من عذاب الله وسخطه وذلك بالمحافظة على شعائر الله وأحكامه، ثم يحافظوا على أبنائهم من سخط الله وعذابه، إن صلاح الذرية هو مطلب كل أسرة صالحة، ومحل اهتمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد دعا الأنبياء عليهم السلام ربهم الذرية الصالحة. لقد دعا إبراهيم υربه أن يهبه الذرية الصالحة، قال تعالى ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾([٤٤]) وقال تعالى: ﴿ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾([٤٥]) ودعا زكريا ربه أن يهبه الذرية الطيبة قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾([٤٦]) ووصى لقمان بنيه على الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾([٤٧]) إن الاختيار السليم للأسرة. ينتج عنه أسرة قوامها السكينة والمودة والرحمة، وينتج جيلاً سوياً صحيحاً خالياً من الأمراض والحالات النفسية، أما إذا كانت الأسرة قائمة على أساس الاختيار الخاطئ بين الزوجين فإن ذلك يورث الأطفال كثيراً من الأخلاق الذميمة، والصفات السيئة، التي قد تؤدي بهم إلى الانحلال الخلقي، والاجتماعي([٤٨]). إن الذرية الصالحة أمل العبد الصالح، وهي أفضل عنده من الكنوز والذخائر، وأروح لقلبه من كل زينة الحياة الدنيا، والدعاء يمتد من الوالدين إلى الذرية ليصل الأجيال المتعاقبة في طاعة الله ([٤٩]) قال تعالى: {وأَصلِح لِي فِي ذُريتِي} فدعوة الوالدين صلاح الذرية بتوفيقهم لطاعة الله، وأن لا يجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً([٥٠]).

المبحث الرابع: أساليب الإصلاح

النوع الأول: الإصلاح بالدعوة

الدعوة والإيمان بالله والبعد عن الشرك قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾([٥١]) فإن الله (جل وعلا) يقول الحق وهو يهدي السبيل، ومن أصدق من الله قيلاً؟ ومن أصدق من الله حديثاً؟ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له (لَفَسَدَتا) يقول: لفسد أهل السماوات والأرض (فسبحان الله عما يصفون) يقول جل ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.([٥٢])

النوع الثاني: إصلاح الأسرة والمجتمع

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُون وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾([٥٣]) أن تربي نفسك تربية إيمانية، أن تقوي صلتك بالله رب العالمين، أن تعلم أن الله تعالى يراك في السر وفي العلن، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾([٥٤])، ويقول تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾([٥٥])، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾([٥٦]) الصلاح بمعنى بر الوالدين يعني بارين بوالديكم([٥٧])، قال رسول الله (ﷺ) في دعائه: ((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى وفي رواية ثانية: وَالْعِفَّةَ))([٥٨])، والذي كان يسأل ربه أن يزكي نفسه فكان يقول: ((عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا قَالَ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَاهُنَّ وَنَحْنُ نُعَلِّمُكُمُوهُنَّ))([٥٩]).

النوع الثالث: الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾(٦٠)، قال تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٦١) وصلوا إلى درجة الانحطاط الأخلاقي لم تصل إليه البشرية من قبل، فعمل قال قوم لوط على إصلاح هذا الفساد الأخلاقي بكل الوسائل، لكن قلوب القوم قد عميت، فلم ينفعها التذكر عدّ الإسلام بناء الأسرة وسيلة فعَّالة لحماية أفرادها شيبًا وشبابًا، ذكورًا وإناثًا من الفساد، ووقاية المجتمع من الفوضى، ومِن ثَم فإن تحقيق هذا الهدف يكون بالإقبال على بناء الأسرة؛ لأن عدم ذلك يحصل به ضرر على النفس باحتمال الانحراف عن طريق الفضيلة والطهر، كما يؤدي إلى ضرر المجتمع بانتشار الفاحشة وذيوع المنكرات، وتَفَشِّي الأمراض الخبيثة.

النوع الرابع: الإصلاح التربوي

هو إصلاح التربية والتعليم بجميع المجالات التي تخص التربية والتعليم

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلإنسانَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾(٦٢)

وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾(٦٣)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٦٤)

واهتمام القرآن بالعلم وبسبل إصلاحه قد حظي بآيات كثيرة تبين قيمة العلم ورِفعة أهله إصلاح التعليم هو الاسم الذي تم إطلاقه على العملية التربوية ذات الهدف المتمثل في تحسين التعليم العام. عبر المزيد من المبادئ العلمية أو الإنسانية أو النفعية أو الديمقراطية. وقد أخذ الإصلاح العديد من الأشكال والاتجاهات، وفي التاريخ والحقب المعاصرة، تغير معنى وأساليب التعليم عبر المناظرات التي تدور حول ماهية النتائج التي تخدم المجتمع المتعلم.

النوع الخامس: إصلاح الحاكم

النصيحة لولاة الأمور كما قال النبي ﷺ فيما ثبت عنه من غير وجه: ((إن الله يرضى لكم ثلاثة أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم))(٦٥) وهذه رسالة مبنية على آية الأمراء في كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(٦٦). قال العلماء نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور عليهم أن يؤدوا

الأمانات إلى أهلها وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك إلا أن يأمروا بمعصية الله فإن أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله لأن ذلك من طاعة الله ورسوله وأديت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله. وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة، فإن النبي (ﷺ) لما فتح مكة وتسلم مفاتيح الكعبة من بني شيبة طلبها العباس ليجمع له بين سقاية الحاج وسدانة البيت فأنزل الله هذه الآية بدفع مفاتيح الكعبة إلى بني شيبة فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل قال النبي (ﷺ): ((من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم([٦٧]) من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين وهذا واجب عليه فيجب عليه البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الأمصار من الأمراء الذين هم نواب ذي السلطان.

النوع السادس: الإصلاح بالصلح بين أبناء المجتمع

الإصلاح بين المتخاصمين وهو الصلاح بين المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا إنما لمؤمنون إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾([٦٨]).

وقال تعالى: ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ الناس﴾([٦٩]).

قال تعالى: ﴿وما كَان ربك لِيهلِك الْقُرى بِظُلْمٍ وأَهلُها مصلِحون﴾([٧٠]).

يعني مصلحون في القرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال رسول الله (ﷺ): (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ)([٧١]).

إن الإصلاح بين الناس عبادة عظيمة يحبها الله (سبحانه وتعالى)، فالمصلح هو ذلك الذي يبذل جهده وماله ويبذل جاهه ليصلح بين المتخاصمين.. قلبه من أحسن الناس قلوباً، نفسه تحب الخير هذا ومع الآخر.. ويحمل هموم إخوانه ليصلح كم بيت كاد يتهدّم، بسبب خلاف سهل بين الزوج وزوجه ويصلح بينهما كم من قطيعة كادت أن تكون بين أخوين أو صديقين. أو قريبين بسبب زلة أو هفوة وإذا بهذا المصلح يرقّع خرق الفتنة ويصلح بينهما..

كم عصم الله بالمصلحين من دماء وأموال وفتن شيطانية كادت أن تشتعل لولا فضل الله ثم المصلحين.

النوع السابع: الإصلاح الاقتصادي

وقوله تعالى: ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ لَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٧٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٧٣).

والآيات التي تبحث في هذا المجال تمثّل منظومة الإصلاح الاقتصادي المتكاملة هو تعديل مفردات النسق الاقتصادي في الاتجاه المرغوب فيه، ويعرف بأنه مجموعة الإجراءات التي تتخذها الدولة أو السلطات الاقتصادية دف التخفيف أو إزالة التشوهات في الهيكل أو الأداء الاقتصادي بغرض تحقيق زيادة مضطردة في معدلات النمو الاقتصادي، وهو أيضاً مجموعة من السياسات والإجراءات الهادفة إلى تحقيق الاستقرار الاقتصادي على المستوى الكلي في الدولة. أين يأخذ الإصلاح الاقتصادي معناه الواسع، إذ يندرج ضمن حركة تغيير جذرية شاملة تستهدف تغيير أسس النظام الاقتصادي- الاجتماعي القائم بأكمله واستبدال بنظام آخر، وهذا المعنى من الأصح الحديث عن عملية انتقال وليس عن مجرد إصلاح وشكلها، ومسألة طبيعة ويكون ودور الدولة في الإصلاح لاجل المجتمع دور كبير.

النوع الثامن: الإصلاح بعدم التعصب الديني

الشارع راعٍ في تشريع الحكم كل من العرف والمصلحة، وتغير الأحوال والمصالح الخاصة بالمكلفين، لذلك فإن يمكن تغييره إذا كان مشتملاً على أحد هذه الأمور.

ففي زمن الشاطبي مثلاً كان كشف الرأس للرجل من الأفعال المخلة بالمروءة والتي تقدح في العدالة، أما في بلاد المغرب فإن الأمر يختلف فإن كشف الرأس لا يعد مخلاً بالمروءة، وبالتالي لا يكون قادحاً في العدالة.(٧٤)

تغير الخطاب استناداً إلى السياسة الشرعية والعرف أو المصلحة

السياسة الشرعية هي: ما كان من الأفعال بحيث يكون للناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد من الفساد(٧٥)، وقيل هي: تبين الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح

ودفع المضار بما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية وإن لم يتفق وأقوال المجتهدين".[٧٦]

فالسياسة الشرعية معناها أن يلزم الإمام المحكومين بحلول شرعية في مسائل مختلف فيها بحيث يراعي فيها مصالح الناس، فالسياسة الشرعية ملزمة للأفراد من جهة الحاكم.

والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

١-اتخاذ ولى الأمر للتسعير الجبري في حالة غلاء الأسعار ومنع الاحتكار وذلك لوجود المصلحة العامة للكافة.[٧٧]

٢- السلطة التقديرية التي تركها الشارع لولي الأمر في العقوبات التعزيرية، وفي الاختيار للأسرى بين الرق والقتل والمن والفداء، وكذلك الاختلاف في تقسيم العطاء بين المهاجرين والأنصار كما فعل ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[٧٨] لذلك فقد يتغير الخطاب الإسلامي استناداً إلى العرف أو المصلحة.

٣-الأحكام والأسس التي تبني عليها الأسرة في الإسلام، والمبادئ العامة التي تحكم القواعد الكلية التي يبني عليها التشريع الإسلامي؛ لأنها مأخوذة منه والتشريع ثابت بنص قطعي، فكذلك القاعدة الفقهية المستنبطة منه، مثل قاعدة "الأمور بمقاصدها"، والضرر يزال وغير ذلك[٧٩]. والعبث بالأصول والثوابت الشرعية يعد جناية على الدين، وإخلالاً بحتمية الالتزام به وهذا لا يصطدم مع حرية الاعتقاد؛ لأنها تكون للإنسان قبل إسلامه فله أن يدين بغير الإسلام، ولا يجبر ولا يكره على تغيير ديانته إلى دين الإسلام، وهذا هو المعنى بقوله تعالى: (لا إكراه في الدين)[٨٠].

أما إذا رضي الإسلام ديناً فيجب عليه الوفاء والالتزام به، فهناك فرق بين مشرك معروف عداوته للإسلام ومسلم انتسب إلى الإسلام، فالمشرك إذا طعن في الإسلام وتطاول على الأصول والثوابت الشرعية يعد محارباً يجب التصدي له حماية للدين الذي هو قوام الحياة وسرها أو ناقضاً للعهد. فالأحكام التي مصدرها النص لا تتغير بتغير الزمان أو المكان؛ لأنها جاءت مراعية لمصالح الناس التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان.

يقول ابن حزم: (اذا ورد النص من القرآن أو السّنّة الثابتة في أمر ما على حكم ما، فصح أنه لا معني لتبدل الزمان ولا لتبدل المكان ولا لتغير الأحوال، وأن ما ثبت فهو ثابت أبداً في كل زمان وفي كل مكان وعلى كل حال حتى يأتي نص ينقله عن حكمه في زمان آخر أو مكان آخر أو على حال أخرى)[٨١].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين واصلي واسلم على المبعوث رحمة للناس اجمعين

اما بعد

وانطلاقاً مما سبق ومن أهمية التربية والتعليم في نهضة الأمة الإسلامية وازدهارها، ووضعها في المكان والمكانة اللائقة بها بين دول العالم، وذلك بتأمين التربية المتميزة والتعليم الجيد الذي يحمي هويتنا ويؤكد قيمنا وذاتيتنا وفي الوقت نفسه يجعلنا نصنع التكنولوجيا والأقمار الصناعية ونُصدرها ونحافظ عليها إذا أطلقناها في الفضاء.

إن أمتنا الإسلامية صاحبة الرصيد الحضاري العريق، وهي في سعيها الحثيث للإقلاع الحضاري، في أمس الحاجة للانطلاق إلى آفاق النهضة والتقدم والريادة عبر تراثها العريق، وعبر فكر مجدديها ومصلحيها من أصحاب الرؤى الجيدة التي سبقت عصورهم بعقود.. هؤلاء المصلحون الذين زاوجوا بين أصالة المنهج الإسلامي وعالميته وخاتمته وصلاحه لكل زمان ومكان، وبين التفاعل والمواءمة بينه وبين متطلبات العصر، ومستجداته الحياتية، ومنجزات الآخرين التي لا تتعارض مع ثوبتنا ومقدساتنا.

وقد هيأ الله (عز وجل) لأمتنا الإسلامية عبر تاريخها عددًا من المصلحين المخلصين، نذروا حياتهم لعلاج مشكلات الأمة وأزماتها والقضاء على همومها، وتحقيق الإصلاح (السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والتربوي) للأمة الإسلامية، بما يؤهلها لعمليات النهوض والاقلاع الحضاري.

وقد بين اهم النتائج وهي

*التعريفات للإصلاح والتربية والاسرة.

* دور القرآن بالإصلاح للمجتمع والفرد.

* علم التربية. والمفهوم الشامل للتربية يرى بأنها هي الوسيلة التي تساعد الإنسان على بقائه واستمراره ببقاء قيمه وعاداته ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

* مهنة التعليم. مهنة التعليم من أرقى المهن في جميع المجتمعات، ولا شك في أن المعلم هو الركيزة الأساسية لانطلاق وتطور الأمة في جميع مجالات الحياة.

* دور أهمية الاسرة. إن الأسرة أحد العوامل الأساسية في بناء الكيان التربوي، فهي البذرة الأولى في تكوين نمو الفرد وبناء شخصيته، فأن الطفل في أغلب أحواله مقلد لأبويه في

عاداتهما وسلوكهما، فهي أوضح مقصدًا وأقل تنظيمًا، وأكثر إحكامًا من سائر العوامل التربوية.

* وأساليب الإصلاح قسمت الى سبعة وهي الإصلاح بالدعوة والإصلاح الاسرة والاجتماعي والأخلاقي والحاكم والصلح والإصلاح الاقتصادي وعدم التعصب الديني.

واخر دعونا ان الحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

([1]) سورة النساء: الآية / ١
([2]) سورة النساء: الآية / ١
([3]) سورة التوبة: الآية / ١٠٢
١ (٤) لسان العرب ٢/ ٥١٦ معجم مقاييس اللغة/303 ، كتاب العين ١٠٠١/٢

([5]) كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ١١٦
([6]) الكليات لأبي البقاء ٣ / ٢١
([7]) أحكام القرآن للقرطبي : ١/ ٢٠٣، تفسير الكشاف ٧٠/١، مفردات الفاظ القرآن الاصفهاني ص٤٢٥
([8]) سورة الأعراف الآية / ٥
([9]) سورة التوبة الآية / ١٠٢
([10]) سورة الأعراف الآية / ١٤٢
([11]) سورة هود الآية / ٨٨
([12]) سورة البقرة الآية / ١١
([13]) سورة الأعراف الآية / ٥٦
([14]) لسان العرب ص.١٥٧٢-١٥٧٤
) المفردات في غريب القرآن الأصفهاني ص. ١٨٤ أصول التربية الإسلامية - خالد حامد الحازمي - ص.
([15]١٩-٢٠ ٣
([16]) إحياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٦٠
([17]) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية - عبدالحميد الصيد الزنتاني ص. ٢
([18]) دور التربية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، محمد لبيب، ص٥٧
([19]) مفهوم التربية، إبراهيم بن عبدالعزيز، ص٣٤
([20]) أزمة تعليم أو أزمة المجتمع ؟ الزبير مهداد مجلة علوم التربية، العدد ٤٣، ٢٠١٠، ص٥٩
([21]) إصلاح التعليم. إلى أين؟ جريدة الأخبار، العدد ٦٧٥، بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠١٥، أحمد الكناوي ص ٧
) دور المعلم في تحويل الأهداف التربوية جريدة المحجة، عبدالرحمن بنويس، العدد ٤٤٠، ب ٤ يونيو
([22]٢٠١٥، ص ١٠
([23]) الأصول العامة للتربية، محمد قمبر، ص٢٥١ - ٢٥٢
(٢٣) السلوكيات المشينة القرارات الوزارية عن ضرب المدرس باستعمال آلة حادة... دون أن تتخذ في حقه أي إجراء قانوني، مما يشجع الآخرين على ارتكاب مثل هذه
([25]) الفكر التربوي بين النظرية والتطبيق.محمد الشيباني، ص١٤٥
([26]) إصلاح التعليم. إلى أين؟ جريدة الأخبار، العدد ٦٧٥، بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠١٥، أحمد الكناوي ص ٧
([27]) فقه الدعوة إلى الله ١/ ٢٢٥- ٢٢٦
([28]) سورة القصص آية ١٤
([29]) سورة الضحى الآيات ٦- ٨
([30]) انظر مجمع الزوائد ١/ ١٦٤
([31]) سورة المائدة الآيتان ٧٨-٧٩

([32]) الإسلام والغرب الدكتور حسن الوراكلي ص ٤٣
([33]) حتى نبرأ من الكسح الدكتور حسن الوراكلي ص ٣٧
([34]) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا الدكتور القرضاوي يوسف، ص ٥٨
([35]) المضمون الإسلامي في شعر علال الفاسي ص ٣٩
([36]) القريشي ص ٧٠
([37]) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٢٧١
([38]) في ظلال القرآن ٥ /.٢٦٨٨
) في ظلال القرآن٥ / ٢٦٨٨مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع محمد زينو ٣/.
([39]٣٦٣
([40]) أمينة بنت أنس بن مالك الأنصاري روى عنها أبوها، انظر تقريب التهذيب، ص٧٤٣
([41]) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، رقم ٥١٢٠
([42]) المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم، عبد الكريم زيدان، ٦ /٥٦
([43]) سورة التحريم الآية / ٦
([44]) سورة الصافات الآية / ١٠٠
([45]) سورة الصافات الآية /١١٢
([46]) سورة ال عمران الآية / ٣٨
([47]) سورة لقمان الآية /١٧- ١٨
([48]) مجلة الرابطة. دور المرأة المسلمة في رعاية الطفل د. سمية محمود ص، ٣٣ العدد. ٤٣٦
([49]) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٦٣
([50]) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٩٥ النكت والعيون ٥/.٢٧
([51]) سورة الأنبياء الآية / ٢٢
([52]) تفسير الطبري ٨/٤٢٥
([53]) سورة المؤمنون الآية / ١-٥
([54]) سورة الانعام الآية /٣
([55]) سورة غافر الآية/ ١٩
([56]) سورة الاسراء الآية /٢٥
([57]) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغاني ص.٣٠٠
([58]) أخرجه الإمام مسلم برقم : ٢٧٢١
([59]) أخرجه الإمام أحمد برقم : ١٨٨٢١
([60]) سورة محمد الآية / ٢٢
([61]) سورة العنكبوت الآية / ٢٨
([62]) سورة الرحمن الآية /١-٤
([63]) سورة العلق الآية /٥
([64]) سورة فاطر الآية /٢٨
([65]) موطأ مالك ٥/ ١٤٤١ مسند احمد ٢/ ٣٦٧
([66]) سورة النساء الآية / ٥٨
([67]) المستدرك على الصحيحين ج٤/ ١٠٤هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

([68]) سورة الحجرات الآية /٩-١٠
([69]) سورة النساء الآية /١١٤
([70]) سورة هود الآية /١١٧
([71]) صحيح ابن حبان١١/ ٤٨٩
([72]) سورة الشعراء الآية / ١٨٣-١٨٢
(٧٣) سورة القصص الآية / ٧٧
(٧٤) الموافقات للإمام الشاطبي ٢٨٢/٢.
(٧٥) الطرق الحكيمة لابن القيم ص ١٥ ط دار الشعب - مصر
(٧٦) السياسية الشرعية – د/ عبدا لوهاب خلاف – ص٤٥ - مؤسسة الرسالة - بيروت – الطبعة الثانية عام ١٩٨٧م.
(٧٧) الطرق الحكيمة لابن القيم ص ٢٨٤
٧٨ الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي ١٥٨/١ –ط دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان
(٧٩) الأشباه والنظائر لابن بخيم الحنفي ص ٢٧ ط دار الكتب العلمية – بيروت لبنان سنة ١٩٨٩م
(٨٠) سورة البقرة الآية ٢٥٦
(٨١) الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم - ج٥ –ص ٧٧١ – ٧٧٤ - ط دار الحديث - القاهرة – سنة ١٤٠٤هـ.